DINIKA
Academic Journal of Islamic Studies
Volume 1, Number 2, May - August 2016
ISSN: 2503-4219 (p); 2503-4227 (e)

The Family's Entity and Challenges Along with Their Solution According to the Prophetic Tradition

Muhammad Najib Alim
Faculty of Syariah, Al-Azhar University, Egypt
email: nagibmohammed03@gmail.com

Abstract
Family is a union resulted from an opened agreement regarding to certain mutual enjoyment, in order that both of husband and wife may comfort each other legally. It comes along with the couple's right and responsibilities as well. The Prophet Muhammad, even before his prophecy had taught us that family is the first social institution for any tribes or nations that elevated into this being, besides of deserving to get high position in the society.
The term of family life is an ongoing issue based on the running time and place, social distinction, and different values brought such challenges that threatened modern families and hindered the aforementioned purposes. It might happen due to some factors, such as weakened family's role and influenced the ideal form of the family. The family will come into the rapid changes of brainstorming and facing the challenges of how to maintain the good condition, such commonly happened as result of the weakness to create religious and educational sense, which generally encountered by the modern families.
Some the real problems raised today are, the women left their houses for working and the lack of children education. It is explained over this paper that Islam has already given the women right to preferring career and employment, as well as performing political role with a condition that it has made them sustainable.

Keywords:
family, family's challenge, prophetic tradition

المقدمة

إن السيرة النبوية فسيحة الأرجاء متسعة الجوانب والأنحاء حيث انتشرت فى طول الزمان وشملت عموم المكان وامتدَّت بعد لحوقه بالرفيق الأعلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك لابد لنا من توثيق وإثبات كل ماينسب إلى سيرة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ومعرفة تفاصيلها حتى يمكن الاقتداءبه في جميع شؤون الحياة – منها الأسرة والتعليم والإدارة والتربية– لأن حياته مصدر الأُسوة الحسنة ومنبع الشريعة العظيمة ومنبعٌ للأمن والطمأنينة حيث كانت تعد رسمًا لطريقته التي سلكها وتطبيقًا عمليًا لأحكام الإسلام وشريعته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (صورة الأحزاب ٧: ٢١)

هذا البحث يهدف إلي حل وفك بعض المشاكل والمعضلات الواقعية حول الأسرة في عصرنا هذا –لاسيما فى الأسرة الغربية– بالسلوك والمنهج النبوي لأن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم جاء ليبلغ رسالة الرحمة شاملة –فيها الإقتصاد والإدارة والتعليم والتربية وأحكام العدل والأسرة– تحتضن كل ضرورات التقدم، وهو يحل كل المشاكل كأنه يستل شعرة من عجين. وكما عرفنا أن العقلاء المثقفون قد بدأوا بتحليل المشاكل تحليلًا علميًا دقيقًا واعتمدوا على سيرة النبي الكريم صلَّى الله عليه وسلَّم. ولذلك كتبت هذا البحث اللطيف في موضوع **"كيان ومشكلات الأسرة مع علاجها بمنهج السيرة النبوية"** من خلال مرجعين رئيسيين "**النور الخالد مُحَمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم** مفخرة الإنسانية للمفكر التركي الكبير مُحَمَّد فتح الله كولن، و**فقه السيرة** لفضيلة الشيخ مُحَمَّد الغزالي" أملاً في أن يستفيد المجتمع منه وأن يكون عونًا لنا على الإخلاص في النيَّات والجد في الأعمال والقيام بالواجبات.

منهج البحث

إني –بعد ان بحثت في الكتب المعاصرة والمجلات والإنترنت حول الاسرة– قد رأيت كثيرًا من المشاكل المعاصرة فيها. ولذا، فقد بدأت بعد عرض مختصر للتعريف والمقاصد للأسرة بعرض أهم تلك المشاكل ثم بحثت عن المعالجة لها. وذلك بعَرْضٍ يعتمد على منهج السيرة النبوية من خلال مرجعين رئيسيين مذكورين.

تعريف الأسرة ومقاصدها

أما تعريف الأسرة **لغةً**: فهي الدرع الحصينة وأهل الرجل وعشيرته، ويطلق على الجماعة يربطها أمر مشترك وجمعها أسر. (ابن منظور، ١٩٩٧، ١٧/١) وأما **اصطلاحًا** فلها معان كثيرة ومنها :

الأسرة هي تلك الوحدة الناتجة من عقد يفيد ملك المتعة مقدرًا، أي يراد به استمتاع كل من الزوجين بالآخر على الوجه المشروع، ويجعل لكل منهما حقوقًا وواجبات على الآخر.(ابن عابدين، د.ت.، ٢/ ٢٦٥) وقال الدكتور طه حبيشي: إن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قبل بعثته قد أفهم التاريخ كله أن الأسرة هي الوحدة الأساسية والخلية الأولى لكل جماعة أو كل أمة ترتقي إلى هذا الوجود، وتبتغي أن تحتل مكانة مرموقة فيه. (حبيشي ٢٠١٢، ٧١١)

واعلم أن الإسلام يحرص على كيان الأسرة ويرغب في أن تكون لبنة قوية لتأسيس المجتمع الصالح المصلح، وعندما قصد الإسلام إلى بناء الأسرة عن طريق الزواج لم يكن ذلك عبثا ولا لغوًا، وإنما شرع ذلك لحِكَم ومقاصد وغايات، ومن هذه المقاصد تحقيق عمارة الله في الأرض، وتحقيق السكن النفسي والإشباع الجنسي والتراحم بين الزوجين وبين الأولاد، وتحقيق أمر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم

بإنجاب النسل المؤمن الصالح، وصون فطرة الطفل عن الرذائل والانحراف، وغرس مكارم الأخلاق في ذهنهم، والتدريب على تحمُّل المسؤولية وغير ذلك من المقاصد الكثيرة التي تقوي كيان الأسرة.

مشكلات الأسرة

إن موضوع الأسرة موضوع شائك باختلاف الزمان والمكان والمحيط الاجتماعي واختلاف البعد المعنوي حتى وجدت المشاكل التي تواجه الأسرة المعاصرة و تفكك المقاصد المذكورة. وهذا قد يكون بسبب فقد بعض تأثير الأسرة ودورها الريادي في بناء الشخصية الإسلامية الفاعلة، وبسبب الضعف الملحوظ في البناء الإيماني والتربوي لبعض الأسر، وبسبب ضعف الثقافة الأسرية وغيرها من الأسباب التي تهدد الأسرة المعاصرة تتعرض لتغيرات سريعة من خلال غزو ثقافي ومفاهيمي في كثير من مكوناتها، كما تتعرض لتحديات خطيرة تهدد هويتها وتماسكها واستقرارها. ومن أهم هذه المشاكل مايلي: الأولى: خروج المرأة من بيتها للعمل والثانية: انهيار تربية الأولاد.

إن خروج المرأة من بيتها للعمل قد دعمه مايسمى في التاريخ الحديث "بحركة تحرير المرأة"، إنما بدأ في مصر قبل غيرها من البلدان العربية الإسلامية، ومسألة التحرير هذه شملت في البداية دعوة المرأة إلى السفور وإلى التعلم، ثم تطورت إلى دعوة إلى أن تعمل وتشتغل في الأعمال التي كانت وقفًا على الرجال في ذلك الوقت ثم دعوة للمشاركة في الحياة السياسية بأن تكون المرأة ناخبة ونائبة ومشتغلة بالوظائف العامة.(مجلة الأزهر مارس ٢٠١٣ ، ٧٨٧)

كما عُلم في أغلب المجتمعات أن المرأة مستقرة في بيتها تعتني بتربية أولادها، والقيام بشؤون زوجها، ولاتخرج من بيتها إلا لبيت زوجها ثم إلى القبر، وما بين هذا وذاك لايجوز لها الخروج. وقد زكى هذا الخطاب أمران: الأول: أن المرأة مكانها الوحيد المشروع هو البيت ورعاية أهلها، والثاني: أن المشاركة السياسية، وفي تولي الوظائف العامة، تفضي إلى مفاسد أخلاقية واجتماعية ناتجة عن الاختلاط بين الرجال والنساء، وهو اختلاط غير جائز شرعا في تصورهم أي بعض الناس.

ويقول فضيلة الشيخ مُحَمَّد الغزالي في ذلك متحسرًا: "المرأة عندنا ليس لها دور ثقافي ولا سياسي، لا دخل لها في التربية ولا نظم المجتمع، لامكان لها في صحون المساجد، ولاميادين الجهاد، ذكر اسمها عيب، ورؤية وجهها حرام، وصوتها عورة، ووظيفتها الأولى والأخيرة إعداد الطعام والفراش". (الغزالي ٢٠٠٨، ٣٣)

ويحتج المانعون للمرأة من أداء دور سياسي إلى جانب الرجل بقوله صلَّى الله عليه وسلَّم الذي يرويه البخاري: **"لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"**. (مجلة الأزهر، فبراير ٢٠١٣ ، ٥٢٢) وأيضًا أن خروج المرأة من البيت للعمل قد أوجب حرمان الطفل من التمتع بحنان أمه، وذلك لمزاولتها العمل، ومن الطبيعي أن تغذيته الاصطناعية وتعهد المربية لشؤونه لا يسد مسدَّ حنان الأم وعطفها. ولذلك أن هذا الخروج قد يؤثر في انهيار تربية الأولاد وفي انحلال كيان الأسرة.

علاج المشكلتين

علاج المشكلة الأولى

لابد لنا في هذا العلاج من أن نعرف أن حقوق الإنسان في الإسلام ليست منحة من ملك أوحاكم أوقرار صادر عن سلطة أومنظمة دولية، وإنما هي حقوق

ملزمة بحكم مصدرها الإلهي، لا تقبل الحذف ولا النسخ ولا التعطيل، ولا يسمح بالاعتداء عليها ولا يجوز التنازل عنها. ومن هذه الحقوق ما يلي:

١-حق الحرية: حرية الإنسان مقدسة وهي الصفة الطبيعية الأولى التي بها يولد الإنسان: **"كل مولود يولد على الفطرة"** (رواه الشيخان)، وهي مستصحبة ومستمرة ليس لأحد أن يعتدي عليها: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا" (من كلمة لعمر ﷺ) ويجب توفير الضمانات الكافية لحماية حرية الأفراد، ولايجوز تقييدها أو الحد منها إلا بسلطان الشريعة وبالإجراءات التي تقرها.

٢-حق المساواة: الناس جميعا سواسية أمام الشريعة: **"لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى"** (من خطبة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم)، ولا تمايز بين الأفراد في تطبيقها عليهم...ولا في حمايتها إياهم...ولكل فرد حق في الإنتفاع بالموارد المادية للمجتمع من خلال فرصة عمل مكافئة لفرصة غيره.

٣-حق الاقتصاد:...لكل إنسان أن يعمل وينتج تحصيلًا للرزق من وجوهه المشروعة. قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود، ١١:٦). وقال أيضًا: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ (الملك، ٦٧: ١٥).

٤-حق بناء الأسرة: مسؤولية الأسرة شركة بين أفرادها، كل بحسب طاقته وطبيعة فطرته وهي مسؤوليةٌ تتجاوز دائرة الآباء والأولاد لتعم الأقارب وذوي

الأرحام: "يا رسول الله من أبر؟ قال: **أمك! ثم أمك! ثم أمك! ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب**" (رواه أبو داود والترمذي بسند حسن).

انطلاقًا من هذا كله، فللمرأة وعليها حسب الظروف المحيطة بها أن تمارس ما يتاح لها من عمل مناسب لأن حق المرأة كالرجل سواء بسواء في المساهمة في العمل العام وولايته، لا تصرفها عنه ولا تمنعها منه إلا الصوارف الخاصة التي مثلها ما يصرف الرجل ويمنعه في ظروف خاصة عن ذلك العمل وولايته، كما قال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: **"طلب الكسب فريضة على كل مسلم ومسلمة"**.(أبي مُحَمَّد، ١٤١٧ هـ، ٣٤٥/٢) وقال المفكر التركي الكبير مُحَمَّد فتح الله كولن: "وليس في الإسلام تفاضل بين الذكر والأنثى، وهذا هو ما أظهره الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم بنفسه... وأعطى للمرأة قيمة كبرى... ورفع المرأة إلى المستوى اللائق بها. تأملوا الحادثة التي روتها أمنا عائشة رضى الله عنها ونقلها النسائي وأحمد: إن فتاة دخلت عليها فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته وأنا كارهة. قالت: اجلسي حتى يأتي النبي صلَّى الله عليه وسلَّم. فجاء رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأخبرته فأرسل إلى أبيها فدعاه فجعل الأمر إليها فقالت: يارسول الله، قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن أعلم أللنساء من الأمر شيء؟

إذن: فالمرأة التي كانت تدفن حية، والمرأة التي كانت مهانة ومحتقرة سابقًا أصبح لها الحق في أن تأتي إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وتطالب بحقها بكل حرية وترغب في معرفة عما إذا كان لوالدها الحق في إكراهها على الزواج ممن يريد... فقد أصبحن – أي زوجات النبي الطاهرات ﷺ – مرشدات ومعلمات وخدمن الإسلام خدمة كبيرة، وقمن بوظيفة التبليغ والإرشاد للعديد من الرجال العظام الذين ازدحموا على أبوابهن. فكم من زاهد وعابد وعالم أمثال مسروق

وطاووس بن كيسان وعطاء بن أبي رباح أخذوا الدروس وتعلموا منهن وكانوا تلا ميذ لهن ونهلوا من علمهن".اهـ (كولن. ٢٠١٢. ٣٢١،٣٠٠، ٣٥٨)

وقال فضيلة الشيخ مُحَمَّد الغزالي حول هذه المسألة: "كثير من المسلمين يحكمون على المرأة ألا ترى أحدًا ولا يراها أحدٌ، وفي المدينة تسيح النسوة في الطرق يرتدين خياما مغلقة طامسة، بها خرقان من أعلى لإمكان الرؤية، وقد تختفي هذه الخروق وراء قطع من الزجاج أو الباغة.. وهذا التقليد السائد يعتمد على حديث سمعت إمام الحرم النبوي يردده من فوق المنبر في خطبة الجمعة، أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم كره لنسوته أن يرين عبد الله بن أم مكتوم، فلما احتججن بأنه أعمى لايراهما، قال لهما: **"أفعمياوان أنتما؟!"**

وقد استنكرت على الخطيب إيراده لهذا الحديث، فإن علماء السنة تكلموا في معناه، ومن الجهل بالسنة تقريره عند بيان وظيفة المرأة وأسلوب حياتها وقواعد اتصالها بالمجتمع العام، ولم لا تذكر السنن التي رواها البخاري في ذلك وهي أدق وأصح؟

أثبت البخاري تحت عنوان "باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال" عن أنس ﷺ قال: لما كان يوم أحد انهزم النَّاس عن النبي قال: "ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقلان القرب على متونهما — ظهورهما– ثم تفرغانه —الماء– في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم".

وذكر تحت "باب غزو المرأة في البحر".. سمعت أنسًا ﷺ يقول: دخل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على "ابنة ملحان" فاتكأ عندها ثم ضحك. فقالت:

لم تضحك يا رسول الله؟ فقال: "**ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله، مثلهم مثل الملوك على الأسرة**" فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. قال: "**اللهم اجعلها منهم**". ثم عاد فضحك فقالت له: مم ذلك؟! فقال لها: مثل ذلك، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: "**أنت من الأولين ولست من الآخرين**". قال أنس: فتزوجت عبادة بن الصامت فركبت البحر مع بنت قرظة. فلما قفلت ركبت دابتها فوقعت بها فسقطت عنها فماتت.

وذكر تحت عنوان "باب حمل النساء للقرب إلى الناس في الغزو".. أن عمر بن الخطاب قسم مروطًا بين نساء المدينة، فبقي مرط جيد فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين أعط هذا ابنة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم التي عندك — يريدون أم كلثوم بنت علي – فقال عمر: أم سليط أحق – وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله عليه الصلاة والسلام– قال عمر: فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد: أي تخيطها.

وذكر تحت عنوان "باب مداواة النساء الجرحى في الغزو" عن الربيع بنت معوذ. قالت: كنا نغزو مع النبي عليه الصلاة والسلام نسقي ونداوي الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة... إلخ.

ولنفرض أن البخاري لم يرو هذه الأحاديث الصحاح، أفكان حديث العمياوين يسلط على المجتمع، ويحجر به على النساء في دورهن فلا يخرجن من هذا السجن أبدًا؟ إن حُكمًا مثل هذا لايعرف من القرآن، بل إن القرآن يجعل هذا الحكم عقوبة للنسوة اللاتي يرتكبن الفواحش: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ

الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (النساء. ٤:١٥)".اه . (الغزالي. ٢٠٠٨، ٣٨-٣٩)

وهذه المقالة كلها تدل على تمكين المرأة ومساواتها في الحقوق والواجبات بأن لها دورًا كبيرًا في العمل وفي مسيرتها الحضارية والثقافية، وأن تأخذ حقوقها نحو النور و أن تحتل مكانتها الرفيعة في الأسرة والمجتمع.

والحاصل لابد للمرأة الزوجة والأم من مراعاة مسؤولياتها الأسرية وذلك بأن تخفض ساعات عملها عن ساعات عمل الرجل، وهي مسؤولة عن إدارة الأسرة الداخلية بأن تحفظ بيت زوجها في حضوره وغيابه وتحفظ ماله وتحفظ أولاده وعليها تنظيم المنزل إلى غير ذلك من الشؤون المنزلية. ولهذا كله تتمتع بكل احترام وتقدير من أفراد الأسرة طالما حافظت على مسؤوليتها الداخلية ولم تتطلع إلى ما وراءها مما لا تستطيع القيام به من صلاحيات الرجل. وهذه الواجبات للمرأة توافق ماأمره النبي صلَّى الله عليه وسلَّم لبنته فاطمة بطريقين: "الأول: هو عدم التقصير في أداء وظيفة العبودية تجاه ربك. والثاني: القيام بإيفاء وظيفتك تجاه زوجك. فلو قام الخادم بإيفاء بعض الخدمات لزوجك من الخدمات التي كان من المفروض عليك أداؤها فذلك يعني أن هناك نقصًا ما عندك. علمًا بأن عليك أن تكوني ذات جناحين. لذا، عليك أن تفتشي عما يجعل الإنسان عبدًا كاملًا لله، وكيف يكون إنسانًا كاملًا يؤدي كل وظائفه دون قصور". (كولن، ٢٠٠٨، ٣٠٣)

ولها أن تشتغل وأن تزاول أعمالًا تناسبها دون محاولة أن تزاحم الرجال أو تختلط بهم أو تخلو بهم، ودون أن تعمل متبرجة بزينتها ومتعطرة ومنكرة مائلة مميلة ودون أن تعرض نفسها حين تتجول بين الرجال، بأن تكون مثلًا مُدرِّسةً أو مُديرة أو كاتبة في المدارس إلى غير ذلك من الأعمال المناسبة لها.

وإذا كان الأمر كذلك فنال أفراد الأسرة ما قصدوا من السكن النفسي والتراحم بينهم وحسن تربية الأولاد وغير ذلك، بناء على ماجاء في فقه السيرة لفضيلة الشيخ مُحَمَّد الغزالي وهو قوله: "وخديجة مَثَلٌ طيِّب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم. إن أصحاب الرسالات يحملون قلوبًا شديدة الحساسية، ويلقون غبنًا بالغًا من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهادًا كبيرًا في سبيل الخير الذي يريدون فرضه، وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه، بَلْهَ الإدراك والمعونة! وكانت خديجة سبَّاقة إلى هذه الخصال وكان لها في حياة مُحَمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم أثر كريم... فقد آزرته في أحرج الأوقات وأعانته على إبلاغ رسالته وشاركته مغارم الجهاد المر وواسته بنفسها ومالها".اه (مُحَمَّد الغزالي، ٢٠٠٨، ٦٨، ١١١) وأيضًا جاء في النور الخالد مُحَمَّد صلَّى الله عليه وسلم مفخرة الإنسانية للمفكر التركي الكبير مُحَمَّد فتح الله كولن مانصه: "فالرسول صلَّى الله عليه وسلَّم كان يختار المرأة التي ستكون في المستقبل مرشدة، ويهيئ لها إمكانية التعلم في بيته وإمكانية التعليم بحيث تصبح من ورثة دعوة النبوة في المستقبل، ولاتوجد ضمن زوجاته الطاهرات امرأة واحدة لم تخدم هذا الهدف، فكما خدمت السيدة خديجة ﵂ الإسلام في بدء الدعوة ووضعت كل ثروتها في هذا السبيل، خدمت الزوجات الأخريات هدف نشر المعرفة الإسلامية بنفس التصميم". (كولن، ٢٠٠٨، ٣٨٥)

وأما الإجابة عن حجة المانعين للمرأة من أداء دور سياسي **"لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"** فما يلي:

١- ما يشير إليه الأستاذ الدكتور مُحَمَّد سليم العوا من أن هذا الحديث لا حجة فيه لأن الأمر الذي يشير إليه هو أمر الولاية العامة التي ليس فوقها ولاية وهي الخلافة أو الرئاسة العامة للدولة الإسلامية الواحدة التي تضم العالم الإسلامي

كله، وهي دولة لم تعد موجودة الآن ولا يتوقع أن توجد في المستقبل البشري المنظور، واختصاصات ولي الأمر فيها وشروط ولايته بشمولها وسعيها واتصالها بجميع المجالات بما فيها الإمامة في الصلاة وقيادة الجيوش والاجتهاد والفقه المطلق ورئاسة القضاء لم تعد متوفرة في أحد من الحكام اليوم، فالحكام اليوم جزء من مؤسسة، والحكم نفسه جزء من مؤسسات عدة توزع بينها السلطات والصلاحيات التي كان يجمعها في يده الحاكم الفرد أيا كان اسمه وتعدد سلطاته.اه (العوا ، ٢٠٠٦، ١٥٠)

٢- يستدرك فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي في قراره: أن عمل المرأة الأول والأعظم الذي لاينازعها فيه منازع ولا ينافسها فيه منافس هو تربية الأجيال التي هيأها الله بدنيًا ونفسيًا قائلا: "وهذا لايعني أن عمل المرأة خارج بيتها محرم شرعًا، فليس لأحد أن يحرم بغير نص شرعي صحيح الثبوت صريح الدلالة، والأصل في الأشياء والتصرفات العادية الإباحة كما هو معلوم. إن عمل المرأة بناء على هذا الأساس في ذاته جائز وقد يكون مطلوبا طلب استحباب أوطلب وجوب إذا احتاجت إليه كأن تكون أرملة أومطلقة لامورد لها ولا عائل...وقد تكون الأسرة هي التي تحتاج إلى عملها كأن تعاون زوجها أوتربي أولادها أوإخوتها الصغار أوتساعد أباها في شيخوخته...وقد يكون المجتمع نفسه في حاجة إلى عمل المرأة كما في تطبيب النساء وتمريضهن وتعليم البنات ونحو ذلك".اه (القرضاوي ، ٢٠٠٥، ٢/٣٠٤-٥)

وهذا كله يدل على أن للمرأة حق المشاركة في الحياة السياسية ومنافسة الرجل في تولي كل المناصب القيادية مادامت مؤهلة لذلك وقادرة على مسؤوليات الوظيفة.

علاج المشكلة الثانية

أما تربية الأولاد فهي مسؤولية وأمانة لوالديهم، فالتربية ليست أمرًا عارضًا أو قضية هامشية أو فكرة عابرة بل هي ضرورة ملحة ومسألة لازمة، وهي تحتاج إلى جهد جهيد لا يعرف الكسل، وبذل لا يتوافق مع البخل، ومواصلة لا ترضى بالانقطاع، وهمة لا تقنع بالدون، وعزيمة لا تتناسب مع الخمول. ولذلك كله لابد للرجل من صفة الأبوة بأن يكون مربيًّا لأولاده في البناء الإنساني الجسدي والروحي والعقائدي والخلقي والعقلي والنفسي والاجتماعي والانفعالي والوجداني. إذًا، وجب عليه أن يعامل أولاده بشفقة ورحمة وأن يحرص على التعرف على مشكلاتهم والجلوس معهم والتعرف على احتياجاتهم ومناقشتهم في مختلف القضايا والتعرف على أصدقائهم وزملائهم الذين قد يجرونهم إلى هاوية المخدرات أو مستنقع الإرهاب أو تبني أفكار ومعتقدات إلحادية أوإباحية أوغير ذلك. اعتمادًا على ماجاء في النور الخالد مُحَمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم مفخرة الإنسانية للمفكر التركي الكبير مُحَمَّد فتح الله كولن وهو قوله: "وكما كان – أي النبي صلَّى الله عليه وسلَّم– زوجًا مثاليًّا لزوجاته فقد كان أبًا مثاليًّا أيضًا.. وعلى المقياس نفسه كان جدًّا مثاليًّا لايوجد له نظير أوشبيه. كان يعامل أولاده وأحفاده بحنان كبير، ولم يكن ينسى وهو يعطي كل هذا الحنان أن يوجه أنظارهم إلى الآخرة وإلى معالي الأمور. كان يضمهم لصدره ويبتسم لهم ويداعبهم، ولكنه في الوقت نفسه لم يكن يغض طرفه عن أي إهمال لهم حول شؤون الآخرة، وكان في هذا الأمر واضحًا جدًّا وصريحًا جدًّا، ووقورًا ومهيبًا وجادًا فيما يتعلق بصيانة العلاقة بينه وبين خالقه. فمن جهة كان يعطي الحرية لهم ويرشدهم إلى طرق العيش بشكل يليق بالإنسان، ومن جهة أخرى كان لايسمح بانفلات الانضباط أو سلوك طريق اللامبالاة. ويبذل كل جهوده وبكل

دقة لمنع إصابتهم بأي تعفن خلقي، ويهيئهم لعوالم علوية وللحياة الأخروية. وفي أثناء هذه التربية كان الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم يحذر من الوقوع في الإفراط أو التفريط، بل يختار الطريق الوسط ويمثل الصراط المستقيم. وكان هذا بعدًا آخر من أبعاد فطنته... يروي مسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه الذي خدم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عشر سنين ما يأتي "مارأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم"... وكما كان في جميع الأمور فقد سلك رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الطريق الوسط في موضوع تربية الأطفال. فقد كان يحب أولاده وأحفاده حبًّا جمًّا ويشعرهم بحبه، ولكنه لم يكن يسمح بأي استخدام سيء لهذا الحب".اهـ (كولن، ٢٠٠٨، ٢٩٧-٢٩٩) وجاء أيضًا في فقه السيرة لفضيلة الشيخ مُحَمَّد الغزالي مانصه: "... ثم وضعت — أي مريم – له — أي النبي صلَّى الله عليه وسلَّم– ابنًا أسماه إبراهيم باسم جده أبي الأنبياء ولم يعمر طويلًا إذ مات وهو رضيع. قال أنس: لقد رأيته وهو يجود بنفسه بين يدي رسول الله. فدمعت عليه عينا النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ثم قال: **"تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون"**.(الغزالي، ٢٠٠٨، ٣٨٥) وهذا كله يدل على شدَّة شفقة ورحمة وحب النبي صلَّى الله عليه وسلَّم لأولاده واعتناءه بهم.

وأما المرأة فلابد لها من صفة الأمومة لأنها السكن والمربي، وهي الحاضنة. وهذه الوظيفة تنفرد بها المرأة دون محيص ولا فكاك وهي مسؤولية ثقيلة لايمكن أن تتوزع على غير الأم من أفراد الأسرة. فقد أثبتت التجارب العلمية أن الطفل لا ينمو ولا يترعرع على لبن أمه فحسب، بل على عطفها وحنانها كذلك. وهذا الغذاء العاطفي لا يقل أهمية عن الغذاء الجسدي في تنمية شخصيته، ومن هنا جاءت أفضلية التغذية الطبيعية من ثدي الأم على التغذية الاصطناعية، ففي الأولى

يتمتع الطفل بأمرين هما الغذاء والحنان، وأما التغذية الاصطناعية فإنها تخلو غالبًا من شعور الطفل بحنان أمه. بناء على قول المفكر التركي الكبير مُحَمَّد فتح الله كولن: "فرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم كان يعدها – أي فاطمة – لكي تكون أمًّا لأهل البيت أولًا ثم أمًّا لقمم سامقة أمثال الشيخ الكيلاني ومُحَمَّد بهاء الدين النقشبندي وأحمد الرفاعي والشاذلي وغيرهم، فكأنه كان يقول لها: **"يابنيتي! أنت ذاهبة لكي تكوني عروسة في بيت ستخرج منه سلسلة ذهبية من النسل المبارك، فدعي أنت هذه السلسلة الذهبية وكوني أما لهذه السلسلة الذهبية من النسل"**.. السلسلة الذهبية لرجال الطرق السامية أمثال الطرق النقشبندية والرفاعية والشاذلية وغيرها. أجل، ليس من السهل أبدًا أن تكون أمًّا للأولياء وللأصفياء وللأبرار وللمقربين".اهـ (كولن، ٢٠٠٨، ٣٠٢) وكذلك تألمت خديجة لهلاك الذكور من بنيها مع ماللذكران من منزلة خاصة في أمة كانت تئد البنات وتسود وجوه آبائهن عندما يبشرون بهن، وهذا يدل على أمومة خديجة لأنها تشعر بالحزن والتحسر في أمة تئد البنات (الغزالي، ٢٠٠٨، ٧٠).

إذًا، فعلى الأبوين مراعاة المسؤولية في تربية الأولاد ووجود وقت كاف لديهما لرعايتهم لنشأة الأطفال نشأة سليمة متكاملة. وهذه المسؤولية لا تنحصر في الأسرة – وإن كانت الأسرة تتحمل جزءًا كبيرًا منها– ولكن يشاركها في المسؤولية المدرسة والجامعة ووسائل الإعلام وغير ذلك.

خاتمة

في نهاية المطاف، لايسعني إلا أن أشكر الله تعالى وأحمده أن وفقني لكتابة هذا البحث اللطيف الذي يتكلم عن مشكلتين "خروج المرأة من بيتها للعمل وانهيار تربية الأولاد" هما من مشكلات الأسرة الخطيرة في عصرنا هذا. وذكرت العلاج والحل لهاتين المشكلتين بمنهج السيرة النبوية من خلال مرجعين رئيسيين مذكورين.

وأهم نتائج هذا البحث ما يلي:

١. أن الإسلام يعطي للمرأة حقوقها في العمل وفي أداء دور سياسي بشرط أن يكون هذا يناسبها.
٢. وللمرأة الزوجة والأم أن تزاول أعمالًا تناسبها شريطة أن تراعي مسؤولياتها الأسرية.
٣. ولابد للرجل وللمرأة من صفة الأبوة ومن صفة الأمومة.

وأما التوصيات العامة فما يلي:

١-التعاون بيننا في مطالبة حقوق المرأة بضوابط شرعية ودعمها في مسيرتها الحضارية والثقافية حتى لا تنعزل عن المجتمع الدولي.
٢-وأن نمثل بماسلك النبي عليه الصلاة والسلام من وضع الأسس المستقيمة والمبادئ الصحيحة لبناء كيان الأسرة السليمة خاصة ولبناء المجتمع الإسلامي عامة.
٣-والتشاور بين الأبوين في مشاركة تربية الأولاد، وكذلك بين أفراد الأسرة في أي أمر يصيبهم حتى تتحقق مقاصدها.

المراجع

القرأن الكريم.

كولن، مُحَمَّد فتح الله. ٢٠١٢. *النور الخالد مُحَمَّد ﷺ مفخرة الإنسانية*. القاهرة: دار النيل.

الغزالي، مُحَمَّد. ٢٠٠٨. *فقه السيرة*. القاهرة: دار الدعوة.

حبيشي، طه. ٢٠١٢. *سيدنا مُحَمَّد ﷺ حياته وعظمته*. القاهرة: مكتبة الإيمان.

الغزالي، مُحَمَّد. ٢٠٠٨. *قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة*. القاهرة: دار الشروق.

الترمذي. ١٩٩٨. *الجامع الكبير*. بيروت: دار الجيل.

أبي مُحَمَّد، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري. ١٤١٧ هـ. *الترغيب والترهيب*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن منظور. ١٩٩٧. *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

مصطفى، إبراهيم. د.ت. *المعجم الوسيط*. القاهرة: دار إحياء التراث العربي.

القرضاوي، يوسف. ٢٠٠٥. *فتاوي معاصرة*. القاهرة: دار القلم.

العوا، مُحَمَّد سليم. ٢٠٠٦. *الفقه الإسلامي في طريق التجديد*. القاهرة: سفير الدولية للنشر.

مجلة الأزهر. مارس ٢٠١٣. الجزء ٤ السنة ٨٦. القهرة: مجمع البحوث الإسلامية.

مجلة الأزهر. فبراير ٢٠١٣. الجزء ٣ السنة ٨٦. القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية.